أدبنا الطبي

على ذكر صدور كتاب (الطبيب والمعمل)

بقلم الأديب المجدد والصحفي المعروف الاستاذ أحمد خيري سعيد

أعتبر صدور كتاب (الطبيب والمعمل) باللغة العربية معجزة . ولا أعني بذلك أن أخلع على صديقي الدكتور زكي أبوشادي بك طيلسان العبقرية في الطب فكم ذا يكون هذا الرداء السحري مطروحاً فوق من لم يميز بنعمة الخالق والابتكار .

وقد كنت أكل الى الأخصائيين أمر هذا الكشف عن الجديد في كتاب صديقي الدكتور الذي اشتهر — لحسن حظه وسوء حظه معاً — بأنه شاعر يسير في طليعة المجددين. ففي البلاد التي تتطور على غير سنة مألوفة من حال بليت الى طور لنا ملء الأمل أن يكون أدنى شيء الى الكمال — في هذه البلاد ، ومصر منها ، يسوء حظ الجارئين أخدان الجرأة وأصحاب المذاهب الحديثة بقدر ما يصير هذا الحظ حسناً : يسوء في الجيل الحاضر ، وينصقل رونق حسنه . لكن صديقي البر وفيسير الدكتور خليل عبد الخالق قال في تعريفه بالكتاب ما يحق للدكتور الشاعر أن يفخر به من جهة أنه منتج في فنه الطبي ، كما هو منتج في فنه الشعري . واليك الذي قاله :—

« تناول الكتاب الامراض الشائعة في مصر والتي يحتاج الطبيب فيها الى الاستعانة برأي المعمل ، وقد بين المؤلف أفضل ما يتبع من الطرق للوصول الى نتائج حاسمة ، وابتكر بعض التعديلات في فحص تلك الأمراض ، فجاء الكتاب ملائماً لحاجة الطبيب المصري وظروفه الخاصة أكثر مما يمكن أن يحصل عليه من المؤلفات الأوروبية في تلك المواضيع » .

وتلك ليست المعجزة التي وقعت يوم صدور الكتاب . كلا ، وليست المعجزة أن الدكتور الصديق نجح ووفق في التغلب على معضلة المصطلحات العلمية بطريقة ، لولا العجلة في إصدار الكتاب لضرورات علمية ورجاء الانتفاع به ، لكان قد حلها أو كاد. فالدكتور أبوشادي شاعر غزير المادة اللغوية ، يصطفي الألفاظ ويفهم سر العربية لغة وبياناً .

المعجزة وقعت لان كتابا ضخماً يبلغ الثمانمائة صفحة في موضوع كهذا قد أبدع

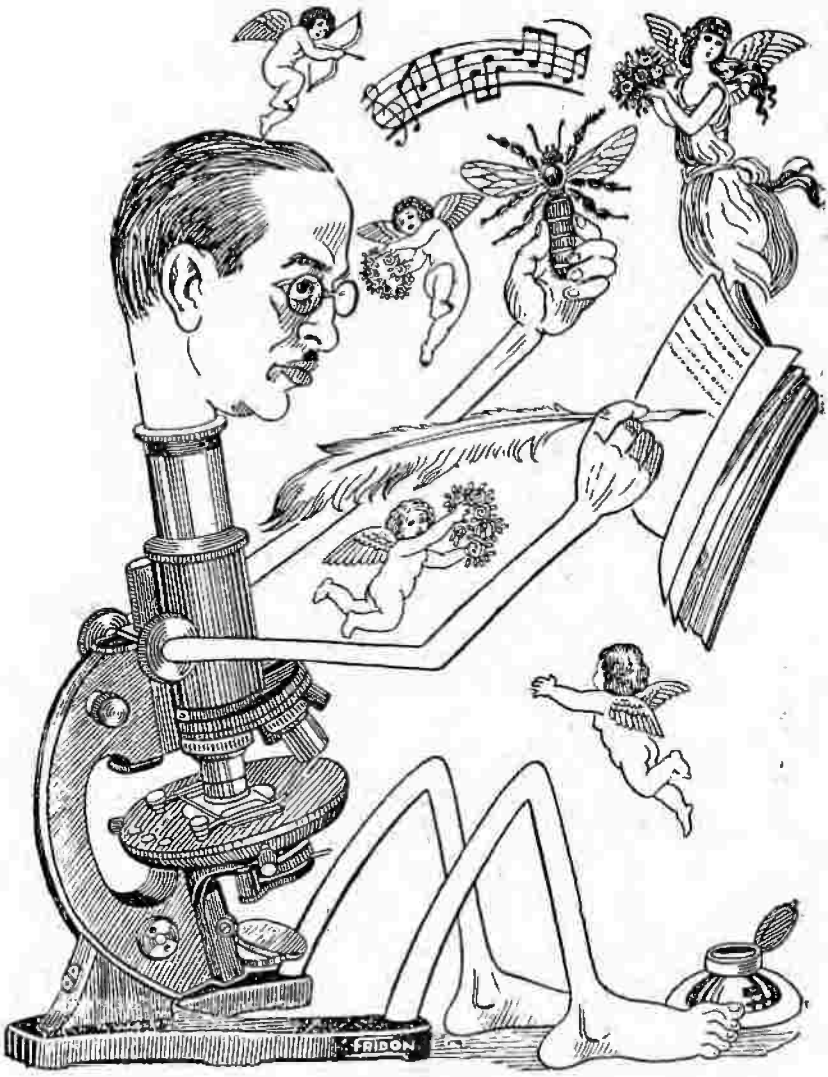

الاستاذ الدكتور أبو شادى

صورة كاريكاتورية من ريشة الرسام المبدع الاستاذ فريدون ضمنها ما اشتهر به الدكتور أبوشادى من مواهب علمية وأدبية ومن تخصص فى البحث الميكرسكوبى وفى علم النحالة، الى جانب افتنانه بالشعر والنقد الادبى .

ونشر ، وقد أضيف إليه ملحق تصويري يشتمل على العشرات من الصور . وسواء أقدر لهذا الكتاب أم لم يقدر له البقاء على رفوف المكاتب فان مجرد الاقدام على طبعه - مثل بذل النفيس من الوقت والمال والنصب فى مراجعة أمهات الكتب العديدة - لامندوحة عن وصفه بأنه تضحية ، بل هو تضحية حتى ولو در الكتاب على شاعرنا الدكتور ما تدره روايات كونان دويل على صاحبها : ذلك بأن الجرأة على اصداره لايمكن أن تستحوز عليك معها سوى ما يشبه اليأس أو أمض ، وكفى بحسرة اليأس تضحية .

ولماذا أغبط صديقى فضله فاكتفى باذاعة هذه التضحية وهو أزهد إنسان فى أن ينبه ذكره بما هو أهله ؟ لماذا لاأقول كلمة قصيرة عن مشقات لاأدعى أنه تجشمها ، وإنما أجزم بأنه ذللها فى غير ماعنات واجهاد .

أنا مثل الدكتور أبى شادى فيما يتعلق بنقل المصطلحات العلمية ، وقد جاء رأيه الذى نشره فى أحد أعداد (المقتطف) مطابقاً لرأيى تماماً — رأيى الذى نشرته من قبل فى صحف لعل الصديق لم يطلع عليها ، أو لعل هكذا رأيه منذ أن صدرت الطبعة الاولى من قاموس شرف الطبى ، فهو ليس من البعيد عليه أن يلاحظ نفس ما لاحظته . والحق أن هذا الرأى أشكل به وأدنى الى أن يكون من عنده ياته .

والرأى هو أن نقل المصطلحات العلمية الى العربية يحسن أن يضطلع به مجمع مؤلف من أخصائيين فى فروع العلم ينضم اليهم نفر من اللغويين الثقاة الاثبات ، وأنا مثله لاأذهب مذهب الذين يقولون بامكان — أو بضرورة — تعريب المصطلحات العلمية اختيالا وعجباً بأن العربية تسع كل شىء وتعبر عن كل شىء .... وبعبارة أصح أنا وإياه نذهب مذهب الذين ترجموا الكتب الاغريقية الى العربية فى صدر الدولة العباسية ، لانرى من ضير فى أن نزيد فى ثروة اللغة بمثل كلمات «الفلسفة» و«السفسطة» وما الى ذلك بسبيل ، مع تعريب ما يمكن تعريبه .

وهذا الرأى قد حققه الدكتور على وجه بديع فى كتابه هذا ، فراح يقول عن vaccine « الفكسين » وعن syphillis « السفلس » . ومن جهة أخرى راح يعرب «virulence» بالذعافة » ويعرب vegetative « بالنمائية » .

بالاختصار هو قد أخصب العربية وأغناها ، معتقداً على حق بأن اللغات وضعية وليست وحياً من السماء ! ومصر وشقيقاتها الناطقات بالضاد تفيد نهضتها من أمثال الدكتور أضعاف أضعاف ما تفيد من الجامدين الذين لم يفقهوا سر اللغة التى يدعون أنهم سدنتها والحراس على تراثها ؟

أحمد خيرى سعيد